قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (علم السرد) السنة أولى ماستر، تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة رقم: 1+2+9

يوم: 2021/05/06

عنـــوان المحاضرة: السرد والسرديات

إن الحديث عن مقولة السرد من حيث الماهية، يقودنا حتما إلى الوقوف عند الشعرية اليونانية والتراث العربي بوصفهما مرحلتين اثنتين تعكسان مدى اهتمامهما بمفهوم السرد، وبالمحيكات عموما. فقد صنف أرسطو الأجناس الأدبية إلى نثر وشعر، واهتم أكثر بتقعيد الشعر في كتابه "فن الشعر". وينظر أرسطو إلى السرد كونه مقولة تنحصر في صيغتين اثنتين: الشعر الحكائي، والشعر الدرامي. كما فرّق بين السرد التاريخي والخيالي، أي بين التاريخ والدراما، حيث ربط الأولى بالواقع. أما الأخرى محاكاة قائمة على نسق متشابك معقد. أما عن واقع السرد في التراث العربي فإنه لم يحظ بكبير اهتمام من قبل الدارسين، رغم وجود نصوص سردية كالمقامات، والنوادر، والقصص العجائبية، والرحلات وغيرها، إذ كان التركيز منصبا حول النصوص الشعرية. وعموما فقد أنتجت المخيلة العربية القديمة محكيات بأشكال متباينة، لكن النقد العربي القديم لم يول أهمية لهذا الجنس الأدبي تنظيرا وممارسة.

أما السرد في الشعرية الحديثة فقد احْتفى به الدارسون وجعلوه قطب رحى أبحاثهم، سيما مع ظهور الشكلانيين الروس والبنيويين والسيميائيين. فمقولة السرد تؤثث كل تلك التصورات النقدية التي تؤطر النص السردي. ويعد تصور جيرار جنيت للسرد بمثابة بيان مؤسس للسرديات، الأمر الذي جعل جوناثان كالر يقول عنه في تصديره كتاب "خطاب الحكاية" بأنه " أكمل محاولة لدينا للتعرف على مكونات الحكاية وتقنياتها الأساسية ولتسميتها وتوضيحها..." فلا يختلف الباحثون عن الإشادة بالدور العميق لمنجزات جيرار جنيت التي كرسها للبحث عن حدود السرد وممكناته وصيغته وأشكاله لطرح إواليات منهجية تؤطر الأشكال السردية.

ففي إطار اهتمامه بمقولة السرد، فقد وازن في مقاله "حدود السرد/الحكي) المنشور ضمن "أشكال 2" بين ثنائية السرد/الوصف في إطار بحثه عن حدود الحكاية، مؤكدا أن الحكاية تتضمن ملفوظات وصفية وأخرى سردية، إذ إن الحكي مرتبط بأفعال، أحداث، أما الوصف فيركز على أشياء أو كائنات، ويشير في سياق تمييزه بين السرد والوصف إلى أن السرد يعمل داخل التتابع الزمني، حيث يمكن أن نصف دون أن نسرد، وفي المقابل لا يمكن أن القيام بالسرد دون الوصف. ويؤكد بأن جوهر النص السردي يكمن في صيغته، وفي هذا السياق أقام حوارا خصبا مع ثنائية السرد/الخطاب، قصد إعادة النظر في حدودهما مؤكدا أن محددات الثنائية ذات طبيعة لسانية، منتهيا إلى ذاتية الخطاب وموضوعية السرد.

ويقوم الحكي على ركيزتين: الأحداث، وطريقة صياغتها، ويتطلب راويا، ومرويا له، وبهذا المعنى فإن السرد يتحدد كما طرحه حميد لحمداني في كتابه "بنية النص السردي" في كونه "الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها (يقصد بالقناة: الراوي– القصة– المروي له) وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالرواية، وبالمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها."

واللافت للنظر أن جيرار جنيت يصطلح على السرد Narration بالصوت أي "الصوت السردي القائم بفعل السرد" إذ اهتم به من ناحية التلفظ. "فالسرد من هذه الناحية هو النشاط السردي الذي يصطلح به الراوي وهو يروي حكاية، ويصوغ الخطاب الناقل لها، وهو ما سماه جنيت نفسه فعل السرد، معتبرا في ذاته، ويميز المنظرون بين فعل الكتابة الذي ينشئه الكاتب وهو فعل حقيقي من فعل السرد الذي ينجزه الراوي، وهو فعل متخيل" وبهذا فالخطاب القصصي يتألف من السرد، الحكاية، الخطاب.

وقد اتفقت النظريات السردية على أن فعل السرد في النص السردي، يكون مختفيا، وأشار معجم السرديات في هذا السياق إلى أشكال حضور فعل السرد في النص السردي، إذ "الأصل أن يكون الفعل السردي مختفيا، وأن تكون العلامات المحيلة عليه نادرة" وقد أكد المعجم ذاته أيضا أن مجال السرد قد اتسع وأصبح "يطلق على كل ما يتعلق بالقصص فعلا سرديا أو خطابا قصصيا، أو حكاية، ويبقى السياق الذي يُستعمل فيه هو الخليق بضبط المعنى الدقيق الذي يعنيه."

هذا عن السرد، أما السرديات كحقل معرفي ظهر منذ ستينيات القرن العشرين ليؤطر المحكيات وفق تصور مغاير لما كان سائدا آنذاك فهي "علم يتناول قوانين الأدب القصصي، ولئن صاغ تودوروف المصطلح الفرنسي سنة 1969 للدلالة على علم جديد لم يوجد بعد [...] علم القصص... فإن مفهومه كان جاريا في مصطلحات أخرى أوسع مثل الإنشائية (البنيوية) وعلم الأدب، والأبحاث التي أفادت منها السرديات أو جعلتها ضمن مجالها قد نشأت قبل ذلك بعقود." دون شك إن "التفكير الحديث في السرد قد بدأ عند الروائيين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مثل فلوبير في مراسلاته، وهنري جيمس في مقدمات رواياته عند إعادة نشرها سنة 1884، وكانت تلك المقدمات منطق بحث لوبوك سنة 1921 في طرائق تقديم الأحداث في الرواية والتمييز بين وجهات النظر،... وفي الفترة نفسها تقريبا ظهرت أعمال الشكلانيين الروس (1915–1930) وخاصة إيخنياوم، وشكلوفسكي، وتوما

شفكي وبروب حول أصناف السرد ودور الراوي وأشكال التركيب القصصي، والحبكة، والشخصية القصصية، وعلاقة المتن الحكائي بالمبنى الحكائي، وغيرها من المسائل التي استندت إلى قراءات واسعة في الآداب الأوروبية، واطّلاع على بعض الأبحاث السردية السابقة."

إلى جانب هذه الجهود النقدية التي تعد روافد السرديات النقدية، فقد أصدر تودوروف كتابه "نظرية الأدب" سنة 1965 وهو عبارة عن ترجمة لجملة من نصوص الشكلانيين الروس إلى الفرنسية، علاوة على المد اللساني البنيوي كرافد لغوي. كل هذه الجهود أسهمت في بلورة السرديات بوصفها علما يهتم بالمحيكات. "ولاشك في أن العدد الثامن من مجلة "إبلاغات" (أو تواصلات) سنة 1966 يقوم دليلا على تلك الإفادة... ومنذ ذلك العدد ترسخ في التحاليل السردية التمييز بين القصة من حيث هي حكاية، والقصة من حيث هي خطاب، وهو موروث الثنائية الشكلانية المتن والمبنى، والتمييز بين الكائنات الورقية في النص، أي الرواة، والشخصيات، والكائنات الحقيقية خارج النص أي المؤلف والقارئ".

ومازالت السرديات "تواجه تحديا منهجيا من حيث الموضوع المدروس فبينما يعتبر بعض الباحثين مثل جونات أن مجال السرديات هو النص السردي وحده، أي المتحقق بلغة من اللغات الطبيعية يرى باحثون آخرون أن السرديات تتناول القصص بشكل عام في فنون السرد اللغوي، الكتابي، والشفوي، وفي فنون أخرى كالمسرح والسينما والصور المتحركة، باعتبار أن القصة هي مجموعة من الأحداث المتتالية القائمة على التحولات والمنتظمة وفق منطق ما.

عموما فالسرديات "فرع معرفي يحلل مكونات وميكانيزمات المحكي، ولكل محكي موضوع، إنه يجب أن يحكي عن شيء ما. هذا الموضوع هو الحكاية، هذه الأخيرة يجب أن تنقل إلى المتلقي بواسطة فعل سردي هو السرد، السرد والحكي، مكونات ضروريات لكل محكي". وبهذا المعنى فقد قدمت السرديات مساءلة لمكونات السرد متجاوزة ما طرحه النقد

الروائي الذي يعنى بمضامين النص وبجدلية مرجعياته من منظور حداثي مؤسس على تحليل بنيات النص ووصفها.

وبهذا أحدثت السرديات قفزة نوعية في مجال قراءة النصوص السردية، ودفعت الخطاب النقدي إلى الاشتغال على أحدث الإجراءات النقدية، كونها تمثل "البعد المنهجي لمختلف التحاليل النظرية التي تتعلق بالخطاب السردي، وهذا ما يثبت ارتباط [ها] بتحليل الخطاب وانخراطها في صوغ مقترح نظري للبحث في مكونات السرد، وطرائف تشكل أنساقه" فاهتمت بذلك بجملة من القضايا لتحليل مكونات السرد كالوظائف، والعوامل، والفواعل، والمكان، والزمن، والراوي، والمروي له، ووجهة النظر،...

ولا شك أن المنهج المتبع في أبعاده المعرفية والنظرية وأدواته الإجرائية يشكل ضابطا منهجيا للعملية النقدية أثناء تحليل مكونات السرد؛ هذا التحليل الذي يميز بين نوعين من السرديات أولهما يعرف بالسيميائيات السردية "وينشغل تحديدا بسردية القصة، من خلال دراسة المضامين السردية بقصد الوقوف على البنيات العميقة، والكليات المعروفة والتي تتجاوز الجماعات اللسانية، وقاعدة الانطلاق هنا هي أن نفس الحدث بإمكانه أن يكون مقدما عبر وسائط متباينة، ومن ممثلي هذه النحو من الدراسة: بروب، بريمون، غريماس". يؤكد هذا القول أن طموح هؤلاء يتحدد في تحليلهم الحكاية ومقاربتهم المضامين السردية وهذا ما يعرف بالسرديات الموضوعاتية.

أما النوع الآخر من السرديات "فيتخذ موضوعا لدراساته ليس القصة بل الخطاب؛ الخطاب من حيث هو طريقة نوعية لتشخيص القصة لفظيا، ومن حيث هو طريقة نوعية لظهور السارد كذات للتلفظ، وأخيرا من حيث هو الذي يجعل السرد ممكنا معينا وقابلا للتحليل، هذا الاتجاه يدرس العلائق القائمة بين مستويات الخطاب والقصة والحكي". من رواد هذا التوجه: تودوروف، بارث، جنيت... الذين يهتمون بتحليل السرد كصيغة لتشخيص

القصة، ويعرف هذا النوع بالسرديات الشكلية أو الصيغية، فالاختلاف بين النوعين يؤكد تعدد المداخل العامة للسرديات.

المراجع المعتمدة:

1- جيرار جنيت: خطاب الحكاية.

2-محمد القاضي وآخرون: معجم السرديات.

3-جيرار جنيت وآخرون: نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير.

4- عبد الفتاح، الحجمري: مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية.

5-رولان بارت وآخرون: طرائق تحليل السرد الأدبي.